جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية ـشعبة الفلسفة

ماستير2، تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة/ سداسي أول

مقياس الفلسفة القارية

محاضرة رقم07

أصول الفلسفة القارية: إعادة قراءة كانط قراءة جديدة

دعت الضرورة المعرفية لفهم مجالات الفلسفة القارية المعاصر أن نعود إلى الجذر الرئيس لهذه الفلسفة بالقراءة والفهم إلى فلسفة كانط، كونها فلسفة حاولت أن تفهم العالم فهما متعاليا في شكل مفاهيم المثالية المتعالية ومفاهيم متسقة مع الواقعية التجريبية، وهي استراتيجية مثلت وجهت نظر المدرسة الكانطية الجديدة في بداية القرن العشرين التي أثرت بشكل كبير على الفلسفة والفرنسة إلى غاية منتصف القرن العشرين، وأيضا على الفلسفة الأمريكية وهنا نجد قراءات الفيلسوف بيتر ستراوسون في الفلسفة الأمريكية لفلسفة كانط.

سعى كانط في مشروعي النقدي بناء جسور بين ملكات الفهم التي تخص: مجال نظرية المعرفة المعني بمعرفة الطبيعة والعقل الذي يخص: مجال الأخلاق المعني بالحرية، بهدف إيجاد علاقة ابستيمولوجية بين العقل والعقل العملي أو بين ما يعرف بالطبيعة والحرية، أو النظري والتطبيقي، وهو المسار ذاته الذي بقى قيد التساؤل والبحث في الفلسفات التي ظهرت بعد رحيل كانط وهو المساء الذي اتبعته الفلسفة القارية.

كانط وهامان: من نقد العقل الخالص إلى نقد النقد

خلف كانط وراءه أزمة كبير هيمنت على عصر الأنوار ألا وهي سيادة العقل المطلقة على الحياة العامة، وقد سبق وأن قال كانط: عصرنا هو عصر النقد بدرجة كبيرة، فيجب أن تخضع جميع معتقداتنا للنقد. فالدين بقدسيته والدولة بهيبتها لا يمكنهما اعفاء أنفسهما من الخضوع لهذا النقد دون أي شكوك بشأنهما. – سيمون كريتشلي: الفلسفة القارية، ص23-

وهنا بدأت أصوات من قبل الفلاسفة تعدو بضرورة نقد العقل ذاته، وعلى أعقابه ظهر مشروع/ نقد النقد ليوهان جورج هامان، الذي بني على نقد فلسفة كانط ومناهضة تعاليم التنوير وثقافة الاندفاع والعاصفة والرومانسية المبكرة، ففي عام ألف هامان كتابه الرئيس: نقد نقد العقل المحض، والذي انتقد فيه مغالاة كانط في العرض الشكلي للمعرفة، وإيمانه بإمكانية الفصل بين المعرفة والخبرة، وفصل ما هو قبلي عن ما هو بعدي، وعليه اعتبر نقد هامان لكانط مدخلا لنقد صديقيه جاكوبي وهيجل.

ظهرت ثغرات كثيرة لورثة كانط في فلسفة كانط منها ثنائية الشكل مقابل المحتوى والاحساس في مقابل الفهم والعقل مقابل الخبرة والطبيعة مقابل الحرية، والمحض في مقابل العملي، إذ تعد في نظرهم سيادة العقل العمل مجرد شكلية فارغة لمفهوم الواجب خاصة بالنصبة لهمان، والذي يعد من الفلاسفة الأوائل الذين تكلموا عن المنعطفات اللغوية-فلسفة اللغة.

في نظر هامان الفصل بين العقل والخبرة أمر مستحيل، لأن الفكر يعتمد أساسا على عامل اللغة، فكيف نستطيع التمييز بين المفهوم والحدس والاستخدام الفعلي للغة؟

يقول هامان: القدرة الكاملة على التفكير لا تعتمد على اللغة فحسب ولكن تقع اللغة أيضا في قلب سوء فهم العقل لنفسه. سيمون كريتشلي: الفلسفة القارية، ص30- فقبل

أن ينتقد العقل الأشياء كان له أن ينتقد نفسه، وحسب فريدريك بايزار : ثمة كابوس يلوح في الأفق الذي يتمثل في أن النقد الذاتي للعقل ينتهي إلى العدمية والشك في وجود كل شيء ، وكان هذا الخوف هو جوهر أزمة التنوير.

إن مفهوم العدمية هو أفضل ما يسمح للمرئ بالتمييز بين الفلسفة التحليلية والفلسفة القارية وكانت هذه القضية في صلب الصراعات الأكثر أهمية في أواخر القرن18 في ألمانيا وكان الفيلسوف جاكوبي في قلبها بما يعرف بقضية صراع وحدة الوجود وصراع الالحاد.

بدأت معالم صراع أفكار وحدو الوجود بنشر كتاب جاكوبي : رسائل حول مذهب اسبينوزا سنة 1781الذي هو كتاب عبارة عن رسائل متبادلة مع موزيس ومندلسون حول مناقشة فلسفة لسينج، وقد شارك في هذه المراسلات كل من ميدلسون وكانط وهردر وكوته وهامان.

زدار أيضا حول فلسفة اسبينوزا الدينية إنا كان مؤمنا أم شيطانا، فقد اعتبره نوفاليس هو ثمل بحب الرب، وهي كلها مساهمات هدفت إلى توظيف اسبينوزا في نقد الأنوار. أما جاكوبي فقد اعتبر السبينوزية هي فلسفة عقلانية وإذا إلتزم المرئ بالعقلانية ستقوده حتما إلى الإلحاد عكس كانط الذي يؤدي إلى انهيار أساس الاعتقاد الديني للحياة الأخلاقية، وهنا يطرح خيارا واحدا وهو: إما اعتناق الالحاد العقلاني للتنوير أو رفضه من خلال الإيمان.

وهنا يعود باسكال ليقول: لا يوجد شيء متسق للغاية مع العقل مثل عملية إنكار العقل ذاته، فتوظيف النقد الديني للعقلانية، سيخدم الإنسانية حتما حيث بقى هذا الصراع في صلب الفلسفة القارية.